

بعض معالم التغيير الاجتماعي في المجتمع العراقي في ضوء علم اجتماع المعرفة مطلع الاحتلال الأمريكي

أ.م.د. شفيق إبراهيم صالح الجبوري*

تاريخ القبول: 2009/1/15

تاريخ التقديم: 2008/8/25

المقدمة

يتم تشكيل المعرفة الاجتماعية وفق معطيات متعددة الحضارة، الماضي، الحاضر، الاحتكاك الثقافي، قوى الإنتاج، الفلسفة... تتضافر مع بعضها مكونة نمطاً ثقافياً يميز سلوك المجتمع الذي نمت فيه إلا أنه ليس بالضرورة أن تعمل كل تلك المتغيرات أو تأخذ دوراً متساوياً في التشكيل المعرفي، إذ قد ينفرد متغير عن سواه لسبب أو لآخر.

ومما لا شك فيه أن سقوط العراق 9 / 4 / 2003 قد أحدث تغييراً كبيراً في الخارطة السياسية، وتبع الأمر المخططات التي سعت إلى تغييرات في التركيب الاجتماعية والديموغرافية.

وقد تمخض عن كل هذا تغيير في المعرفة الاجتماعية انعكست بدورها في البناء الاجتماعي للمجتمع العراقي. ولبيان التغيير الاجتماعي الحاصل في البناء الاجتماعي فقد انقسمت الدراسة على ثلاثة أقسام: الأول الإطار النظري للبحث وقد تضمن مشكلة البحث، أهمية البحث، هدف البحث، عينة البحث، منهج البحث وأدواته كما تضمن مجالات البحث.

أما القسم الثاني فقد تضمن مدخلاً نظرياً لمنهج علم اجتماع المعرفة، والتغيير الاجتماعي في المجتمع العراقي.

أما القسم الثالث فقد بحث محاور البناء الاجتماعي للمجتمع العراقي والتغيير الاجتماعي فيه مطلع الاحتلال الأمريكي للبلاد. وقد تضمن كل محور من محاور البناء الاجتماعي خلاصة بينت أهم ما توصل إليه البحث.

* قسم علم الاجتماع/ كلية الآداب/ جامعة الموصل.

ثم ختم البحث بخاتمة تضمنت تعليقا على نظرية أوكبرن وتعليقا لواقع التغيير الاجتماعي في ضوءها.

القسم الأول

الإطار النظري للبحث

أ - مشكلة البحث : خضع العراق للاحتلال الأمريكي في 9 / 4 / 2003 وكان حادثاً جلالاً له آثاره على جميع مرافق الحياة الاجتماعية العراقية ، وطبيعي إن الدخول الأمريكي لم يكن عسكرياً فقط بل ترادف معه دخول كثير من المفاهيم النظرية والسياسية، بل البعض منها سبقه بفعل القوة الإعلامية الكبيرة للولايات المتحدة والقوى المتحالفة معها.

ووضح منذ الأيام الأولى للاحتلال أنه باق لفترة ليست بالقصيرة وان لهذا البقاء آثاراً يحدثها على الفكر الاجتماعي، فإنه (الاحتلال الأمريكي) طرح فرضية إحداث تغيير اجتماعي في الموقف الاجتماعي والواقع الاجتماعي للمجتمع العراقي.

وكانت مشكلة دراسة التغيير الاجتماعي بعد مضي أكثر من سنة وبشكل تتابعي (*) لمدة ثلاث سنوات فكرة وجدها الباحث طيبة، من باب أنها توثيق للفكر الاجتماعي للمجتمع العراقي وللموقف الاجتماعي للمجتمع العراقي إزاء الاحتلال الأمريكي.

ب - أهمية البحث: تأتي أهمية البحث من كونها: -

(*) يُعنى هذا النوع من الدراسات بمتابعة مجموعة من الأشخاص ودراستهم في فترات زمنية معينة بقصد التعرف على أحوالهم وظروفهم وقد تعالج هذه الدراسات فئات كبيرة أو صغيرة وكذلك المتغيرات التي تدرسها قد تكون كثيرة أو قليلة ، ويقوم هذا النمط من الدراسات على أساس أنه لما كان كل شيء يقاس بنتائجه فإن الخريجين في عملهم وفي الحياة مقياس مناسب يمكن التعويل عليه في تقدير العمل وكفاءة كما أنهم بما يعد فيهم من قدرة على الحكم المقبول والتعبير عن الواقع والاسترجاع الصحيح للماضي وإبداء الرأي المعقول يعدون معايير مناسبة لإصدار الأحكام . ينظر وهيب مجيد الكبيسي/ بونس صالح الجنابي/ طرق البحث في العلوم السلوكية/ جامعة بغداد/ 1987/ ص 63 .

1. إنها دراسة في التغيير الاجتماعي لمدة ثلاث سنوات دراسية متتابعة.
2. انطوت على مقارنة كل سنة مع باقي السنتين.
3. تكشف عن ملامح التغيير الاجتماعي لثلاث سنوات , مما قد يجعلها أرضية علمية لأسكنتاه الفكر الاجتماعي إزاء الاحتلال خلال المستقبل.
4. أنها دراسة توثيقية للفكر الاجتماعي العراقي في مرحلة من أصعب مراحل حضارة المجتمع العراقي, وبالتالي حضارة الأمة العربية.
5. أنها دراسة تطبيقية لعلم اجتماع المعرفة.

ت - هدف البحث:

وقد تمثل دراسة مراحل التغيير الاجتماعي خلال ثلاث سنوات متتابعة مع إمكانية رسم الحدود والتصورات المعرفية للفكر الاجتماعي إزاء الاحتلال الأمريكي والتصور الاجتماعي عموماً.

ث - عينة البحث: -

اعتمد الباحث عينة ثابتة دون سواها , فلجأ إلى تحقيق ذلك إلى طلاب القسم (قسم علم الاجتماع/ كلية الآداب/ جامعة الموصل) الذي ينتسب له , فقام بتوزيع الاستمارة الاستبائية في نهاية كل سنة دراسية أثناء فترة الامتحانات النهائية وقد كان لذلك دواعٍ منها:

1. أن مصدر الإجابات تكون ثابتة مما يعطيها مصداقية, فيما لو كانت الإجابات قد جاء من مصادر متباينة.
2. وحدة البنية الذهنية على الأقل في المستوى الدراسي مما يعطي انسيابية في الإجابة.
3. توزع الطلبة بشكل جيد على جميع مناطق مدينة الموصل بجميع مستوياتها الشعبية والمتوسطة, ومن خارج الموصل أفضية ونواح, ناهيك عن طلاب المحافظات وقد كان هناك طلابٌ من بغداد وديالى وكركوك والانبار.

بلغت عينة البحث 24 مبحوثاً. وفي واقع الحال أن هذا العدد لم يكن نفسه خلال سنوات البحث المتتابعة. إذ بلغ عددهم في العام الدراسي 2004 / 2005 (31) طالباً (مبحوثاً).

وفي العام الدراسي 2005 / 2006 تم توزيع الاستمارة فأنتضح أنه قد نقل طالب واحد إلى جامعة أخرى واستشهد آخر , وترك الدراسة ثالث , فتم استبعاد ثلاث استمارات بطريقة عشوائية من عدد استمارات العام الدراسي 2005/2004 البالغ عددها 31, فأصبح عدد الاستمارات الاستبائية للعامين الدراسين 2004 / 2005 - 2006 / 2005 (28) استمارة.

وفي العام الدراسي 2006 / 2007 تم توزيع 28 استمارة استبائية, استلم الباحث منها 24 استمارة, إذ إن ثلاثة طلاب تركوا الدراسة بعد منتصف السنة بسبب الأوضاع الأمنية, والاستمارة الرابعة كانت فارغة , فتم اعتماد ذات الطريقة الأولى باستبعاد (4) استمارات بطريقة عشوائية للعامين الدراسين 2005/ 2004 و 2006/2005, ليصبح عدد الاستمارات لجميع الأعوام الدراسية 24 استمارة وقد تم اعتماد طريقة الإسقاط العشوائي لغرض فني بحث من أجل تحقيق الدقة الإحصائية في نتائج النسب المئوية.

ج - منهج البحث: -

اعتمد الباحث منهج علم اجتماع المعرفة في التفسير الاجتماعي لإجابات المبحوثين⁽¹⁾, كما اعتمد المنهج المقارن لتحليل بيانات كل عام دراسي ومقارنته منفرداً أو ثنائياً مع بيانات العام الدراسي الآخر منفرداً أو ثنائياً.

د - أدوات البحث: -

اعتمد الباحث الاستمارة الاستبائية كأحد أدوات البحث الرئيسة , وبعد إجراء الاستمارة الاستطلاعية تم اعتماد الاستمارة النهائية, وقد تم عرضها على جميع أساتذة قسم علم الاجتماع - جامعة الموصل (كل من يحمل لقب مدرس وأستاذ مساعد).

وقد ارتأى الباحث حذف محور البيانات الأساسية من الاستمارة, أثناء التحليل, اعتقاداً منه بأهمية التغاضي عن جميع الخلفيات الاجتماعية والاقتصادية

(1) راجع القسم الثاني - منهجية علم اجتماع المعرفة.

والديموغرافية والايكولوجية من التحليل والاكتفاء بمتغير واحد – هو عراقيتهم – وإخضاع تصوراتهم لتحليل المحاور انطلاقاً من ذلك.
وربما كان دافع العلم هو السبب في هذا الاستبعاد لتجاوز ما أفرزه الاحتلال من بعض الحساسيات فيما بين الأقليات أو المذاهب , كما لا يخفى دافع المواطنة العراقية في ذلك.

د - مجالات البحث: -

1. المكانية: كانت مدينة الموصل المجال المكاني الأوسع وقد مثله قسم علم الاجتماع/ كلية الآداب/ جامعة الموصل على نحو أضيق.
2. البشرية: طلاب قسم علم الاجتماع في كلية الآداب/ جامعة الموصل.
3. الزمانية: وهي فترة تتابعية بدأت بالعام الدراسي 2004 / 2005 و 2006/2005 وانتهت بالعام 2007 / 2006.

القسم الثاني

منهجية علم اجتماع المعرفة والتغيير الاجتماعي في المجتمع العراقي

أ - منهجية علم اجتماع المعرفة

إن المهمة الصعبة التي تواجه العلم تتمثل بمقدار التوفيق بين منهجيته , وبين تراثه النظري, ولعله لا يوجد علم مثل علم اجتماع المعرفة يتداخل تراثه النظري بمنهجيته إلى الحد الذي تجد فيه نظرية علم اجتماع المعرفة منهجاً, كما تجد منهجيته في ذات الوقت تنظيراً.

وقد حاول إيان كريب طرحت نظريته الاجتماعية التي تكاد أن تكون توفيقية بين الموضوع المبحوث من حيث المنهج ومن حيث العلم, فلا التزمت بالمنهج " فقد وقفت ضد أي منهج يبالغ في الصرامة , وأي محاولة لاستيعاب كل سمات الحياة الاجتماعية ضمن إطار نظري واحد وتفسير نظري واحد , وفي المقابل ذهبت إلى أن الحياة الاجتماعية تتكون من ظواهر متعددة الأشكال, وان كل شكل منها بحاجة إلى فهم وتفسير نظريين مختلفين عن الأشكال الأخرى"⁽²⁾.

من جانب آخر طرحت النظرية فكرة الأنسنة لموضوع البحث , متجاوزة فكرة التشبيء الدوركهايمية التي تعاملت مع موضوع البحث على أنه حقيقة بعيدة عن الإنسان وكأنها شيء خارجي , مما فسح قدرة التعامل مع التنوع المعرفية فيما يخص النظريات الاجتماعية التي تسعى لتفسير الحياة الاجتماعية من زاوية التغيير الاجتماعي , بعبارة أخرى فهم الواقع باعتبار التغيير الاجتماعي عاملاً محورياً في التفسير الاجتماعي خاصة وان التغيير الاجتماعي " يتضمن القدرة على التعامل مع مجموعة من الاحتمالات تقبل الاختلافات القائمة بينها حتى تعارضها التام , وهذه المقدرة يمكن اعتبارها دليلاً على ان التعليم يوسع المدارك حسب القول القديم ... وبهذا المعنى فان تعلم التسامح في التفكير النظري الذي قد يقول

(2) إيان كريب/ النظرية الاجتماعية من بارسنز إلى هابرماس /ترجمة محمد حسين علوم /
سلسلة عالم المعرفة ع244 سنة 1999 ص330.

شيئا لا نود معرفته... وهذا التعلم مرتبط بالوسيلة التي قد نتجاوز بها شعورنا بالخواء، أما إذا أسيء فهم النظرية فانه وسيلة لإطالة أمد ذلك الخواء⁽³⁾.

إن الذي يمكن استخلاصه من نظرية كريب يتمثل بما يأتي: -

1. عدم التقيد بمنهج صارم وفق قواعد العلم النظري الصارمة جداً الذي فرغ

العلم من محتواه الاجتماعي، كما عدم الانجرار وراء الفوضى إلى حد يملئ نتائج العمل البحثي ابتسارات ومعارف مشوهة للواقع الاجتماعي وانه منهج الوسطية العلمية - الاجتماعية.

2. إيمان بالنسبية الاجتماعية وتعدد أشكال الحياة الاجتماعية وإيمان بالنسبية المعرفية وقبول عدد من التفسيرات الاجتماعية في آن واحد، وإيمان بنسبية الفهم الفردي للباحث من خلال الإيمان بالتاريخ والتعدد الفكري للإنشاء الآخر.

3. تقبل فكرة التغيير الاجتماعي، فما توصلت إليه من منهج وسط، ومعرفة تم التوصل إليها من خلال تفهم الآخرين قد يغير المناهج والمعارف المعتمدة.

ووفق ذلك فانه يمكن فهم الارتباط الجدلي بين التغيير الاجتماعي وبين علم اجتماع المعرفة في ضوء تفسير كريب لمفهوم النظرية الاجتماعية، لأن الواقع الاجتماعي و هو واقع حاصل، متغير سواء كانت عوامل احتمالات التغيير ذاتية أم موضوعية، داخلية أم خارجية، وفي الوقت نفسه يكون من الصعب على العلم الاجتماعي أن يتعامل مع معطيات التغيير الاجتماعي على أنها متغيرات شنيئة يغيب عنها التفسير الذاتي على صعيد المبحوث كما على صعيد الباحث سيما الباحث في علم اجتماع المعرفة الذي عليه أن يكون أحد أجزاء الذات الفاعلة - جزءاً من المجتمع المبحوث. وهو في هذا فوق الموضوعية، باعتقاده، بقيم المجتمع الذي يبيحه. ولذلك فليس من المعقول أن يتم الفصل بين المنهج والنظرية في علم اجتماع المعرفة " لا شك أن هناك فاصلاً بين المنهج والعلم من غير علم اجتماع المعرفة. إلا أن هذا الفاصل هو ما يغيب عن علم اجتماع المعرفة وهذا

هو طرح كارل مانهايم في الايدلوجيا واليوتوبيا الذي يتبناه الباحث على أقل تقدير .

ب - الواقع الاجتماعي العراقي ومظاهر التغيير الاجتماعي فيه

يذهب الباحثون إلى إن الاهتمام "بالتغيير يمثل انعطافاً مهماً في الفكر الاجتماعي, لان معظم المفكرين اعتقدوا لعدة قرون, أن الثبوت هو الغالب, وان الحركة في علاقات ظواهر الطبيعة والمجتمع تمثل شذوذاً أو استثناءً نادراً... حتى أوساط القرن الثامن عشر تقريباً " (4) حيث دخلت الصناعة الحياة الإنسانية وبدأت تؤتي ثماراً تتعكس على الحياة الاجتماعية, ورغم ما شهدته التغيير بعد ذلك من اهتمام واسع من قبل الباحثين إلا أن هناك سمة لازمة رافقت كل المخترعات حتى وقتنا الحاضر, إلا وهي أن العناصر المادية تلقى قبولاً أسرع من المعنويات والسبب في هذا أن التكنولوجيات " تخلو على الأكثر من تهديد العقائد والمعايير الأخلاقية للمجتمعات التي تقتبسها" (5) . وتطور الأمر نظرياً في بحث هذه اللازمة أن انتهى الأمر بنظرية أوكبرن فيما أصبح يعرف في التراث السوسيولوجي بالفجوة الثقافية أو الفجوة الحضارية.

أما علاقة التغيير الاجتماعي بالمجتمع العراقي وواقعه فقد لقي الاهتمام من لدن كبار باحثيه بدءاً بالدكتور علي الوردى الذي اعتقد أن التغيير الاجتماعي متاصل في صيرورة مستمرة يمثلها الصراع الدائر بين قيمه البدوية وقيمه الحضرية منذ بدايات تشكله المؤسساتي (6) مروراً بلاحقى الوردى, من الجيل الثاني والجيل الثالث.

وفي دراسة سابقة أجراها الباحث عن التغيير الاجتماعي خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن لعشرين , وكان من نتائجها:

(4) قيس النوري / آفاق التغيير الاجتماعي النظرية والتنمية / وزارة التعليم العالي والبحث

العلمي / بغداد 1990 ص.16

(5) المصدر نفسه . ص28.

(6) ينظر علي الوردى - دراسة في طبيعة المجتمع العراقي / د . ت أو مكان.

1. مع نهايات الحرب العالمية الثانية بدأت رياح التغيير الاجتماعي تهب على المجتمع العراقي بصورة ملحوظة استجابة للظروف الاجتماعية الجديدة.
2. تعاضد درجة التغيير الاجتماعي خلال السنوات اللاحقة مما استدعى الاستبعاد بعض الاعتبارات الاجتماعية التي لا تتناسب مع مبدأ الربح والمنفعة.
3. السمة المميزة للتغيير الاجتماعي لعقد السبعينيات هي التخطيط الاجتماعي المنظم للحراك الاجتماعي.
4. وبسبب ظروف البلد الاقتصادية والاجتماعية التي استجدت عقب الحصار الاقتصادي , فقد كان التغيير الاجتماعي متلاحقاً وغير منظم إلى حد ما, إلا أنه لم يكن خروجاً كلياً عن المثال الفمي القديم⁽⁷⁾.
أما مطلع القرن الواحد والعشرين فقد كان التغيير الاجتماعي على خلاف التغيير الاجتماعي الطبيعي و حيث شهد المجتمع العراقي احتلالاً لم يسمح للتغيير أن يكون ضمن مساره الطبيعي, ولم يعد بالإمكان التنبؤ بما سيؤول إليه وضع المجتمع العراقي وان هذا ما دفعنا إلى بحث ما يمكن أن نسميه تغيراً اجتماعياً ليس ضمن أي اتجاه سوى اتجاه علم اجتماع المعرفة انطلاقاً مما ينطوي عليه هذا العلم من دلالات تشير إلى أهمية في تشخيص مظاهر التغيير الاجتماعي بما هو عليه الواقع في ظرفه الراهن, وبما يحويه من بنى عقلية , تشكل " موضوعاً لسوسيولوجيا المعرفة"⁽⁸⁾.

(7) شفيق إبراهيم – نادية صباح / ملامح التغيير الاجتماعي في البنية الاجتماعية الذهنية للفكر الاجتماعي العراقي خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين – مجلة آداب الرفادين 36 السنة 2003.

(8) كارل مانهايم / الايدولوجيا واليوتوبيا / مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة . ترجمة محمد رجا الديرنى / شركة المكتبات الكويتية ط1 1980 ص310

القسم الثالث

البناء الاجتماعي العراقي والتغيير الاجتماعي مطلع الاحتلال الأمريكي للعراق (تحليل البيانات)

يتشكل كل مجتمع من محور أو انساق اجتماعية واقتصادية وسياسية ودينية وثقافية، زاد عددها عن ذلك أو نقص، اتخذ مسميات غير هذه المطروقة أو لم يتخذ، تبقى الحركة الاجتماعية تسير ضمنها، معبرة عن نفسها في أنمطه ذهني، تعبر عنها بالمفردة اليومية وبالسلوك الاجتماعي الرتيب لكل فرد خلال يومه الذي يفتحه ويختتمه بالفراش ليستجمع قواه لليوم التالي.

وهذا ما سيكشفه تحليل محاور البناء الاجتماعي للمجتمع العراقي أثناء تحليل إجابات المبحوثين على الاستمارة الاستبائية وعلى النحو الآتي:

المحور الاجتماعي

شهد المجتمع العراقي تغييراً سياسياً عسيراً كانت القسرية صفته الأولى بكل مداليلها النظرية والعملية ولقد وجد المجتمع العراقي نفسه أمام هذه القسرية أمام مفترق طرق، المقاومة، أو الاستسلام، رفض الذي جرى، أو الرضوخ له، أمام هذه المفترقات تسربت عمليات التغيير الاجتماعي في بنية العلاقات الاجتماعية العراقية، ولعل ملاحظة الجدول رقم (1) توضح لنا طبيعة هذا التغيير، الذي بدا وكأنه تغييرٌ كان من نتاج الفكر الذي أفرزه الاحتلال وقد كان حسبما يوضحه الجدول متماشياً وطبيعة الفكر الاجتماعي لبنية المجتمع العربي فشهد تغييراً طفيفاً خلال السنة الثانية (2005/2006) من سنوات مدة البحث التجريبية وعلى النحو الآتي:

جدول رقم (1) يوضح تغيير بنية العلاقات الاجتماعية العراقية

العلاقة	طبيعة العلاقة 2005/2004				طبيعة العلاقة 2006/2005				طبيعة العلاقة 2007/2006			
	ضعيفة		قوية		ضعيفة		قوية		ضعيفة		قوية	
	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار
الأسرة	12,5	3	87,5	21	8,3	2	91,6	22	100	24	-	-
الأصدقاء	37,5	9	62,5	15	12,5	3	87,5	21	75	18	25	6
المحلة	71	17	29	7	83,3	20	16,6	4	37,5	9	62,5	15
المدينة	75	18	25	6	87,5	21	12,5	3	8,3	2	91,6	22

أ - على مستوى علاقة أبناء الأسر بأسرهم شهدت تلك العلاقة منحنى تصاعدياً ففي العام الدراسي (2004 / 2005) إذ كانت درجة علاقة الأبناء بأسرهم قد بلغت 87,5% من القوة مقابل 12,5% من الضعف نجدها قد توثقت في العام (2005 / 2006) فبلغت 91,6% مقابل 8,3% من الضعف في حين كانت في العام الدراسي 2006 / 2007 (100%) من القوة.

ولعل التفسير الاجتماعي لهذا الاطراد مصدره إدراك أبناء المجتمع العراقي, بقيمة الالتزام القرابي في ظل غياب الطمأنينة المفقودة في المؤسسات الردعية (الضبطية) التي من شأن ايجابية دورها الوظيفي, تقليل الارتباط العائلي حيث يعتمد أبناء المجتمع عليها في الشعور بالطمأنينة, أما وقد ضعف دورها, فقد انكفأ الأفراد إلى أسرهم, وعلى ذلك, كلما زاد دورها الإيجابي ضعف دور العائلة في هذه الناحية والعكس صحيح, إلا أن هذا الغياب جعل الأفراد يدركون قيمة ارتباطهم بالعائلة, خاصة وان هذه المؤسسات قد عجزت خلال ثلاث سنوات عن تحقيق شيء من الأمن على اختلاف مستوياته.

ب - على مستوى علاقات الصداقة كان العام 2006 / 2007 نقطة انخفاض في مستوى العلاقة إذا بلغت قوتها حسب رأي المبحوثين 62,5% مقابل ضعفها الذي بلغ 37,5% إزاء زيادتها في العام 2005 / 2006 التي بلغت بدرجة 87,5% مقابل 12,5% ولعل تراجع النسبة خلال العام الأخير إذ كانت من القوة 75% مقابل 25% من الضعف من مدة البحث مرجعها , تردي الحالة الأمنية مما لا يسمح بخروج الأصدقاء مع بعضهم البعض ومن ثم تحديد نشاطهم الترفيهي.

وقد كان لشدة الإعلام والحملات العسكرية التي قامت بها قوات الاحتلال والشرطة هي السبب في ارتفاع نسبة قوة العلاقة بين الأصدقاء عام 2006/2005 إلى 87,5% مقابل 12,5% مما سمح بهدوء نسبي ساعد على توثيق علاقات الصداقة حيث أمكنهم البقاء متأخرين نسبياً في المساء, وإقامتهم حفلات ترفيهية, إلا أن فشل تلك الحملات, ساعد على تردي الأوضاع ومن ثم فرض حظر التجوال الذي حد من حركات الشباب العلائقية مع بعضهم البعض.

ت - أما العلاقات الاجتماعية على مستوى المحلة والمدينة فكان جد طبيعي في ظل ظروف سوء الأوضاع الأمنية وفرض حظر التجوال أن تضعف العلاقة بينهما وهذا وفق النسب المذكورة في الجدول رقم (1) إذ بلغت قوتها 29% مقابل ضعف الارتباط الذي شكل 71% بالنسبة للمحلة و 25% مقابل ضعف الارتباط الذي شكل 75% بالنسبة للمدينة في العام 2004 / 2005 ، وتدني العلاقة بين أبناء المجتمع والمحلة في العام 2005 / 2006 إلى 16,6% مقابل ضعف العلاقة التي شكلت 83,3% أما على مستوى المدينة فقد انخفضت نسبة الارتباط إلى النصف إذ انخفضت إلى 12,5% مقابل ضعف في العلاقة بلغ 87,5% . ولم يكن العام 2006/2007 بأفضل من سابقه سوى ارتفاع بسيط في مستوى العلاقة بالمحلة إذ ارتفعت قوة العلاقة إلى 37,5% مقابل ضعف في الارتباط بلغ 62,5% وهو لا يعد تحسناً حقيقياً ربما مصدر قوة العلاقة الاجتماعية الموجودة أصلاً قبل الاحتلال الذي حد منها كثيراً، أما على مستوى المدينة فقد استمرت نسبة ضعف العلاقة بالهبوط إذ بلغت قوتها 8,3% مقابل ضعف العلاقة التي بلغت 91,6%.

ث - على مستوى زيارة الأقارب والمشاركة في النشاطات الاجتماعية الرسمية نجد أن السنوات الدراسية الثلاث قد شكلت حرف U حسبما يوضحه الجدول رقم (2)

جدول رقم (2) يوضح زيارة الأقارب

2007/2006		2006/2005		2005/2004	
لا يزور	يزور	لا يزور	يزور	لا يزور	يزور
نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار
8,3	2	91,6	22	16,6	5
83,8	20	8,3	2	91,6	22

فبعد أن كانت في العام الدراسي 2004 / 2005 قد بلغت 91,6% ممن يزور مقابل 8,3% ممن لا يزور ، نجدها قد انخفضت نسبياً في العام الدراسي 2005 / 2006 إلى 83,8% ممن يزور مقابل 16,6% ممن لا يزور ونجدها ارتفعت

تماماً في العام 2006 / 2007 إلى ذات النسبة في العام الدراسي 2004 / 2005.

ولعل السبب في ذلك كان التحسن النسبي في العام 2004 / 2005 مما سمح بتوسع العلاقات بين أبناء المجتمع إلى خارج النطاق القرابي إلى نطاق العلاقات إلى مستوى المحلة والمدينة حينما تم توضيح ذلك في بيان مستوى علاقة الأبناء بالمحلة والمدينة للعام الدراسي 2006 / 2007 من الجدول رقم (1).

وذات الرؤية التحليلية تتسحب على المشاركة في النشاطات الاجتماعية الرسمية، حيث مال أبناء المجتمع إلى استغلال فرصة التحسن في الظروف الأمنية لتوسيع النشاط إلى المجالات الاجتماعية غير الرسمية فانخفضت نسبة المشاركة الاجتماعية الرسمية إلى 33,8% ممن يشارك مقابل 66,6% ممن لا يشارك في العام الدراسي 2005 / 2006 مقابل النسبة نفسها التي كانت المشاركة الاجتماعية الرسمية أكبر نسبياً في العامين الدراسيين 2004 / 2005 و 2006 / 2007 حسبما يوضح ذلك الجدول رقم (3) وقد بلغت 37,5% ممن يشارك مقابل 62,5% مما لا يشارك.

جدول رقم (3) يوضح المشاركة في النشاطات الاجتماعية الرسمية

2007/2006		2006/2005				2005/2004					
لا يشارك		يشارك		لا يشارك		يشارك		لا يشارك		يشارك	
نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار
62,5	15	37,5	9	66,6	16	33,3	8	62,5	15	37,5	9

وعند التمعن في نسب التحسن في العام الدراسي 2006 / 2005 لا نجدها تشكل تحسناً كبيراً إذ لم يكن ذلك التحسن حقيقياً بقدر ما كان تحسناً إعلامياً، وهذا هو السبب الذي يفسر الانكفاء إلى مستوى العلاقة في العام الدراسي السابق واللاحق لهذا العام الدراسي.

ج - على مستوى التفكير بالمستقبل. ويكاد أن يشكل التغير في التفكير بالمستقبل، المجال الأكثر وضوحاً في التغيير الاجتماعي حسبما يوضح ذلك الجدول رقم (4)

جدول رقم (4) يوضح تفكير أبناء المجتمع العراقي في المستقبل

2007/2006		2006/2005				2005/2004			
يفكر		لا يفكر		يفكر		لا يفكر		يفكر	
نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار
100	24	8,3	2	91,6	22	12,5	3	87,5	21

اذ جاءت النسب في التفكير بالمستقبل تصاعدياً , فبعد أن كان التفكير في المستقبل قد بلغ 87,5% مقابل 12,5 ممن لا يفكرون في العام الدراسي 2005/2004 نجدها قد تصاعدت في العام الدراسي 2006 / 2005 إلى 91,6% ممن يفكرون مقابل 8,3 ممن لا يفكرون, بل إن نسبة التفكير في المستقبل قد بلغت في العام الدراسي 2007 / 2006 (100%).

ومرد ذلك, تحسن الوضع المالي للموظفين وقد ضاعفت الحكومة مستوى أجور موظفيها, مما ساعد على تحسن ملحوظ في مستوى الدخل, فاتجهت الأنظار إلى الوظائف الحكومية, التي تتطلب بالنتيجة تخصصات علمية , فما كان من أبناء المجتمع إلا التفكير في المستقبل هذا من جهة.

من جهة أخرى فإن ما هو واضح ضعف التوجه الاشتراكي لمخططات الحكومة, ومحاولة توجيهها المشاريع الرأسمالية من خلال طرح برامج الخصخصة ولو على الصعيد الإعلامي. فأصبح ذلك مؤشراً دق أذهان أبناء المجتمع بضرورة التفكير بالمستقبل والتحوط لظروف ما لم يعهده, الا أنهم يسمعون به.

الخلاصة

لقد شكل الجدول بين مجمل الظرف الاجتماعي لمجتمع البحث, والتصور الاجتماعي سمة المحور الاجتماعي, فلقد كانت العلاقات الاجتماعية على مستويات العلاقة بين أبناء المجتمع وبين الأسرة والأصدقاء والمحلة والمدينة والأقارب والمشاركة في النشاطات الاجتماعية الرسمية والتفكير بالمستقبل, علاقة متوازنة اجتماعية.

فكلما لمسنا تحسناً في الظروف الأمنية كانت العلاقات تزداد قوة وبالاتجاه الصاعد فتتوسع من مستوى علاقة الأسرة الى مستوى العلاقة بالمدينة , وبالعكس تضيق العلاقة الى داخل الأسرة مع سوء الوضع الأمني.

من جهة أخرى كان للتأثير الإعلامي الكبير استجابة ذهنية لإفراد المجتمع إذ نجدهم قد هيئوا أنفسهم لمجاهيل المستقبل بالتفكير بالتخطيط له , إزاء طرح الحكومة توجهاتها من خلال مسؤوليها ووسائل أعلامها.

المحور الاقتصادي

الاقتصاد ركن الحياة الأكثر واقعية والذي يفرض فلسفته على الواقع الاجتماعي من غير رتوش أيدلوجية أو سياسية فهو إن كان ذو طابع يتخذ من نظرية التحديث أم نظرية التبعية محوراً، إلا أنه يظل رغم كل شيء له واقع ملموس يتمثل بالحاجات على أنواعها، وهي بحاجة لأن تشبع بواسطة الاقتصادي الذي يحس به أبناء المجتمع، ومعلوم أن الطابع الاشتراكي للاقتصاد العراقي النشط خلال عقدي السبعينيات والثمانينيات الذي اعتمد التنمية الشاملة⁽⁹⁾ بدأت تضعف منتصف الثمانينيات في القرن الماضي حتى كادت أن تتلاشى مع نهاية التسعينيات بفعل الحرب العراقية - الإيرانية، وآثار الحصار الاقتصادي الذي بدأ تطبيقه أوائل التسعينيات، بل إننا نجدها قد تلاشت مع دخول الاحتلال الأمريكي مطلع القرن الواحد والعشرين ولذلك فقد اخذ الاقتصاد المخطط يغيب عن الواقع الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع العراقي، فكان من الطبيعي أن يثار السؤال الأكثر أهمية على مستوى الحياة الواقعية - الشعبية، وهو هل يهيم الوضع الاقتصادي أبناء المجتمع؟ إلا أن التساؤل لم يكن ذا طابع تنظيري على مستوى السياسة الاقتصادية، فذاك عمل الدولة التي يقف الفرد أمامها عاجزاً، بل لا توجد جدوى من هكذا سؤال لبلد يخضع لنير الاحتلال، فكان طابع السؤال شعبياً بمقدار ما يهيم أبناء المجتمع.

(9) ينظر محمد مهدي صالح الراوي/ التنمية الممكنة المتوازنة ومسألة البناء الاشتراكي في الوطن العربي في الثمانينيات/ المجلة العربية لعلم الاجتماع المجلد 2 العدد 4 تموز - يوليو ص 17 - 36 .

بعض معالم التغيير الاجتماعي في المجتمع العراقي في ضوء علم اجتماع المعرفة مطلع الاحتلال الأمريكي
أ.م.د. شفيق إبراهيم صالح الجبوري

ويطرح الجدول رقم (5) السؤال هل يهتم أبناء المجتمع بالوضع الاقتصادي للبلد؟.

جدول رقم (5) يوضح اهتمام أبناء المجتمع العراقي بالوضع الاقتصادي للبلد

2007/2006				2006/2005				2005/2004			
لا يهتم		يهم		لا يهتم		يهم		لا يهتم		يهم	
نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار
12,5	3	87,5	21	12,5	3	87,5	21	62,5	15	37,5	9

وبتفحص نسب الجدول اعلاه يتضح ما يأتي:

أن نسبة المهتمين من المجتمع بالوضع الاقتصادي قد بلغت 37,5% مقابل 62,5 لم يهتموا وذلك في العام الدراسي 2004 / 2005 مقابل زيادة ملحوظة في الاهتمام في العامين الدراسيين 2005 / 2006 و 2006 / 2007 اذ بلغت 87,5% ممن اهتم مقابل 12,5 لم يهتم.

والتفسير الاجتماعي لذلك أن المجتمع العراقي كان أكثر اهتماماً بما آل إليه البلد عقب الاحتلال، إلا أنه وبعد مضي السنتين الأوليتين من الاحتلال، وازاء التخطيط والحاجة لاقتصاد ينهض على قدميه نجد أن أبناء المجتمع قد ارتفعت درجة اهتمامهم بالوضع الاقتصادي.

ومما يجدر الانتباه إليه أن الاهتمام الاقتصادي للمجتمع، كان أهتماً فردياً، فلم يكن المحلل ليهتم بحال البلد الاقتصادي بأي حال من الأحوال، بل إن السوق العراقي أصبح مفتوحاً دون رقابة ضريبية أو نوعية⁽¹⁰⁾ لأي من البضائع التي تدخل البلد من الدولة ولما كان الوضع المالي قد شهد تسحناً ملحوظاً، فقد اتجه المجتمع إلى الاهتمام بالمتعلقات الاقتصادية وقد أخذت شكلين:

1 - اقتناء المصنوعات التقنية.

2 - زيادة النشاط التجاري مع دول الجوار.

*- المقصود بالنوعية الجودة حيث لا توجد سيطرة نوعية على البضائع فيستورد التجار الردي منها لرخصه إلا أن سهولة تسويقه تأتي من فقدانه من السوق قبل الاحتلال، وقد أدى ذلك إلى إغراق السوق بهذا النوع من البضائع

وقد سمح كل ذلك بتوفر السيولة النقدية لدى أبناء المجتمع فأدى ذلك إلى ازدياد الاهتمام بتقديم المساعدات المالية للأقرباء حسبما يوضح ذلك الجدول رقم (6).

جدول رقم (6) يوضح تقديم المساعدات للأقارب

2007/2006		2006/2005		2005/2004	
نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار
79	19	62,5	15	62,5	15 نعم
21	5	37,5	9	37,5	9 لا

ونجد في نسب الجدول أن العاميين الدراسيين 2005 / 2004 و 2006/2005 كانت نسبة المقدمين المساعدات قد بلغت 62,5% مقابل 37,5 لم يقدموا مساعدات مالية، إلا أن هذه النسب قد زادت في العام الدراسي 2007/2006 إذ بلغت 79% مقابل تدني نسبة الذين لم يقدموا مساعدات إذ بلغت 21% ولعل تراكم رأس المال خلال عامين بفعل تحسن الراتب الوظيفي هو الذي أدى إلى زيادة اهتمامهم بالأقارب وتقديمهم المساعدات المالية لهم، وهذا وضع طبيعي بالنسبة للمجتمع الموصللي لما اتصف به من حميمية، وهذا ما يفسره الجدول (7).

جدول رقم (7) يوضح سبب تقديم المساعدة

2007/2006		2006/2005		2005/2004	
نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار
45	11	41,6	10	54	13 اجتماعي
12,5	3	12,5	3	8,3	2 اقتصادي
25	6	37,5	9	33,3	8 ديني
16,6	4	8,3	2	4	1 سياسي

ويتضح من الجدول أعلاه أن الدافع الاجتماعي وما يتضمنه من متينية في العلاقات القرابية وعلاقات الصداقة كان هو الدافع الأكثر أهمية فشكلت النسب 54% ، و 41,6% ، و 45% للسنوات 2005/2004 - 2006 / 2007 على التوالي الأكثر سبباً في تقديم العون المالي للأقرباء والاصدقاء المحتاجين وتلاه في

الأهمية الدافع الديني فشكلت النسب 33,3% , و 37,5% , و 25% لذات السنوات على التوالي.

ولعل تفسير ذلك ما أتصف به المجتمع الموصل من ميزة التدين, وشاهدها كثرة المساجد والجوامع والمشاريع الخيرية⁽¹¹⁾.

أما الدفع الاقتصادي في تقديم المساعدات المالية للأقرباء فقد حضي بالنسبة الآتية 8,3% للعام الدراسي 2004 / 2005. واستقرار النسبة التي بلغت 12,5% للعامين الدراسيين التاليين , وربما اتخذت المساعدات المالية شكل دعم المشاريع التجارية الصغيرة مقابل ربح رمزي, وقد يكون مرد ذلك هو ما اتسم به الأفراد المُقدّم لهم العون من تعفف فأبوا العون إلا وكأنه مشاركة في مشروع اقتصادي مع مَنْ قدم العون والمساعدة.

أما الدوافع السياسية في تقديم العون فقد كانت الأقل نسباً من بين الدوافع على أنها أخذت هي الأخرى في التصاعد بوتيرة مطردة حسبما توضح ذلك النسب التي جاء على توالي سني البحث 4.1% , وقد ارتفعت إلى 8,3% ثم إلى 16,6%. ولعل سبب هذا الازدياد المطرد هو الاتساق في العمل الحزبي على الرغم من ضعفه البادي في الكيان الاجتماعي.

الخلاصة

إن من أبرز مؤشرات الوضع الاقتصادي للمجتمع العراقي بعد الاحتلال, هو تحسن الوضع المالي, وزيادة القدرة الشرائية لفئة الموظفين الحكومي ن, وزيادة أسعار السوق في الجهة المقابلة وقد خلف ذلك نوعاً من عدم الموازنة ففي الوقت الذي يستطيع فيها الموظف إشباع حاجاته الأساسية نسبياً نجد أن غير الموظفين قد عانوا عوزاً كبيراً.

المؤشر الآخر للوضع الاقتصادي العراقي هو انفتاح سوقه دون رقابة ضريبية أو نوعية أمام المستورد من البضائع.

(11) أنظر د . حارث حازم. دور جماعة المسجد في التنمية الاجتماعية بحث مقبول للنشر في مجلة آداب الرافدين عام 2007 .

وقد بدا واضح من التفاعل الجدلي بين أبناء المجتمع المبحوث وبين ما ساد المجتمع من وضع اقتصادي، فقد وجدنا ان المجتمع لم يفقد خصوصيته في ما أتصف به من ايجابية للعلاقات الاجتماعية، فعمل على تمتين علاقته مع بعضه البعض بعد ما توفر له المال مع التذكير بأن طابع النشاط الاقتصادي كان فردياً ولم تتدخل الدولة بأي نشاط اقتصادي قوامه التنمية الاجتماعية.

المحور السياسي

عنت السياسة منذ افلاطون وحتى بارسنز القوة، وقد اتخذت أشكالاً منها السلطة وأداتها القهر، الاقتصاد ويده الطولى مصالح فئة معينة، كما عنت الفلسفة حينما شُخصت على أنها ما يجب أن يكون عليه الواقع⁽¹²⁾ ورغم اختلاف أشكالها فإنه كان لها شكلاً واحداً على مر العصور، إلا وهو الدولة، "ومادامت الدولة هي المحتر لممارسة السلطة والقوة في المجتمع على حد قول ماكس فيبر لما تمتلكه من شرعية يصبح مواطنيها ملزمين بطاعتها والخضوع لها"⁽¹³⁾.

ولا شك أن حال العراق كدولة قبل الاحتلال ما كان ليثذ عن هذه القاعدة الفيبيرية، أي أن مفهوم السياسة على الأقل بالنسبة للمجتمع العراقي بعد الاحتلال أخذ شكلاً آخر، وهو العراق نفسه، فغدت السياسة – العراق كله حضارة ومجتمعاً، ولما كان مفهوم السياسة قبل الاحتلال يعني فئة ما تمتهن العمل السياسي أو تحمل الفكر السياسي، فإن هذه الفئة قد غابت بعد الاحتلال ليحل محلها المجتمع كله، ولم تعد فكرة القوة ممثلة للفكر السياسي، بقدر ما أصبح الاهتمام بالعراق، فالعراق ومستقبله هو السياسة نفسها.

ولقد تدرج الاهتمام بالوضع السياسي للمجتمع العراقي من بمنحى تصاعدي حسبما يوضح ذلك الجدول رقم (8).

جدول رقم (8) يوضح الاهتمام بالوضع السياسي

2007/2006	2006/2005	2005/2004
-----------	-----------	-----------

(12) أنظر د. إسماعيل علي سعد/ المدخل إلى علم الاجتماع السياسي/ دار النهضة العربية بيروت/ ط1 1989.

(13) د. إسماعيل علي سعد/ دراسات في المجتمع والسياسة/ دار النهضة العربية – بيروت 1988 ص133.

بعض معالم التغيير الاجتماعي في المجتمع العراقي في ضوء علم اجتماع المعرفة مطلع الاحتلال الأمريكي
أ.م.د. شفيق إبراهيم صالح الجبوري

تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
اهتم	20	22	91,6	23	95,8
لا اهتم	4	2	8,3	1	4,1

إذ بلغ الاهتمام بالوضع السياسي 2004 / 2005 83,3% مقابل عدم اهتمام
بلغ 16,6% وازداد الاهتمام في العام الدراسي 2005 / 2006 الى 91,6%
ممن اهتموا مقابل 8,3 لم يهتموا، وبلغت في العام الدراسي 2006 / 2007
95,8% مقابل 4,1% لم يهتموا.

والتفسير الاجتماعي لتصاعد هذا الاهتمام هو أن زيادة الوعي الاجتماعي
لأبناء المجتمع العراقي، بان الاحتلال الأمريكي لم يرغب إلا في تعطيل عجلة
الحضارة في المجتمع، ودليل ذلك أن قوات الاحتلال لم تعمل إلا على زيادة عدد
المعتقلات من جهة، ولم تفكر قط بإدارة العراق كدولة وفق قوانين محددة، فكان
يسيراً عليها، أن تهدم بيتاً، أو تعتقل أي شخص لمجرد وشاية، إذ وجود لما يسمى
بقانون تسير وفقه أمور الدولة، من جانب آخر أن مؤسسات الدولة في ظل
الاحتلال تسير أصلاً وفق قوانين الدولة قبل السقوط مما يجعل المجتمع العراقي
يشعر بأنه يسير وفق ما يسميه بلا دولة تحكمها القوة، وقوانين دولتها أصبحت أثراً
بعد عين.

وهذا التفسير هو الذي جعل من أبناء المجتمع ينظرون إلى مستقبل العراق
نظرة سيئة وفق ما يوضحه الجدول رقم (9).

جدول رقم (9) يوضح رأي المجتمع العراقي بمستقبل بلدهم

2007/2006		2006/2005		2005/2004	
نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار
-	-	4,1	1	12,5	3
54,1	13	50	12	20,8	5
20,8	5	20,8	5	25	6
25	6	25	6	41,6	10

اذ تدنت النسبة من النظرة الحسنة 2005 / 2004 12,5% إلى 4,1% للعام الدراسي 2006 / 2005, في حين اختفت هذه النظرة 2007 / 2006, في حين كان حصة النظرة مجتمعة ما بين سيئة إلى غامضة إلى لا يعرف عام 2004 / 2005 87,4% ومن تصاعدها في العام الدراسي 2007 / 2006 إلى 85,8% , وبلغها العام الدراسي 2007 / 2006 درجة 100%.

وتعد تلك التصورات عن مستقبل المجتمع العراقي مقبولة فلقد مضى على احتلال العراق سنواته الأولى , ولم يحض العراق بأي إنجاز خدمي , فما زالت جميع المرافق الخدمية وعلى رأسها الكهرباء مشكلة عويصة يعاني من فقدانها كل أبناء المجتمع, ناهيك في ارتفاع الأسعار المواد, وخاصة المحروقات أو قات فصل الشتاء.

إن إدراك الفرد العراقي لمخطط المحتل من جهة وتصوره لمستقبل بلده في ظل الاحتلال جعله لا يؤمن بالمشاركة السياسية وهذا ما كشفه الجدول رقم (10).

جدول رقم (10) يوضح مدى ايمان المجتمع العراقي بالمشاركة السياسية

2007/2006		2006/2005		2005/2004	
نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار
12,5	2	16,6	4	16,6	4
87,5	21	83,3	2	83,3	2

حيث بلغت نسبة الذين لا يؤمنون بالمشاركة السياسية على مدار العامين الدراسيين 2005 / 2004 و 2006 / 2005 83,3% مقابل نسبة 16,6 ممن يؤمنون بها , وحتى نسبة المؤمنين بها تقلصت إلى 12,5% مقابل 87,5 ممن لا

يؤمنون بها في العام الدراسي 2006 / 2007 , ولعل فكرة الإيمان بالمشاركة السياسية لهذه النسبة القليلة مصدرها ارتباط المؤمنين بها بشكل أو بآخر بمن يعملون في المؤسسات السياسية الرسمية وغير الرسمية (الحزبية) أو حتى المؤسسات الأمنية.

الخلاصة

يتضح من المحور السياسي أن هناك ارتباطاً جدلياً بين الواقع السياسي للمجتمع, وبين السلوك السياسي لأبناء المجتمع, مما شكّل معرفة سياسية أو فكرياً سياسياً تجاوز الحدود المألوفة لمفهوم السياسة إلى مفهوم الوطن والحضارة. وتجلّى ذلك بدرجة اهتمامهم بالوضعين: السياسي, والمستقبلي للمجتمع من جهة ودرجة إيمانهم العالية بعدم جدوى المشاركة السياسية كأحد إفرازات الواقع الاجتماعي بمتغيراته المتعددة لنمط سياسي اتخذ معرفة سياسية, لم تكن معروفة قبل الاحتلال بتغير المدلول المعهود لمفهوم السياسة إلى مدلول إذا جاز لنا تسميته بالمدلول الشعبي للسياسة (الوطن والحضارة).

المحور الديني

يشكل الدين معرفة ذات وجهين هما التعالي والواقعية , ولا يمكن الفصل بينهما على الأقل نظرياً, حتى أصبح الدين الساحة الوجودية التي لا جدال في حقيقتها العملية , وغدا الدين النقطة المرجعية التي يتم الاحتكام إليها, ليس في شرقنا المتدين حسب , بل حتى في العالم الغربي - العلماني , بحيث يقيم أي سلوك من منطلق دينيته (*), وقد شكل ذلك التقاطع ما بين الديني وسواه ما اسماه "كارل مانهايم في علم اجتماع المعرفة بـ "ارتباط الوجود" أي التكامل العضوي لمجموعة ما يتم به بناء فعل الفاعلين الاجتماعيين" (14). ضمن المحيط الاجتماعي, فلا فردانية للتعالي, على الواقعي, ولا استغلال للواقعي عن المتعالي.

وإذا كان الارتباط الاجتماعي قائم على أساس المواطنة فلا شك أن المتغيرات العرقية تبقى تحتفظ بخصوصيتها, أما الارتباط السياسي فلا شك مرتين بالتوجهات العقيدية للأحزاب السياسية وهكذا دواليك, الا الارتباط الديني و فهو ارتباط وجود بين الجميع, وان كانت هناك تيارات طائفية أو مذهبية أو حتى ديانات مختلفة, إلا إنها تحدد علاقاتها مع بعضها وفق المتعالي الأول (الله سبحانه وتعالى) وهنا يتمايز علم اجتماع المعرفة كأداة " تحليل محايد لطبيعة تواسطات ثقافية بين البناء الاجتماعي والوعي, يقول دكسون أن فكرة الفهم الاجتماعي للدين تقتضي مجرد التقمص وليس الالتزام والموافقة مع صعوبة الفصل بينهما" (15).

من هذا التحديد المنهجي أثير تساؤل تأدية الفروض الدينية , ولقد كانت نتائج الإجابة حسبما يوضحها الجدول (11)

جدول رقم (11) يوضح تأدية الفروض الدينية لأبناء المجتمع العراقي

* - لعل موضوع الحجاب وتحريم لبسه في فرنسا , أحد الأمثلة الشاخصة التي تؤيد وجهة نظرنا.

(14) غانم هنا/ من الأسطورة إلى الدين/ ندوة الدين في المجتمع العربي/ مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت ط1 1990 ص84.

(15) حيدر إبراهيم/ الأسس الاجتماعية للظاهرة الدينية/ ندوة الدين في المجتمع العربي/ مصدر سابق ص44 .

بعض معالم التغيير الاجتماعي في المجتمع العراقي في ضوء علم اجتماع المعرفة مطلع الاحتلال الأمريكي
أ.م.د. شفيق إبراهيم صالح الجبوري

2007/2006		2006/2005		2005/2004	
نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار
83,3	20	91,6	22	87,5	21 نعم
16,6	4	8,3	2	12,5	3 لا

غير مستقرة على وتيرة واحدة , حتى وان كانت في كل الأحوال قد تجاوزت نسبة الذين يؤدون فروضهم الدينية نسبة الـ 80% فقد بلغت نسبتها في العام الدراسي 2005 /2004 87,5% مقابل نسبة 12,5 لم يؤدوا فروضهم الدينية ثم عادت فارتفعت إلى 91,6% في العام الدراسي 2006 /2005 مقابل انخفاض نسبة الذين لا يؤدون فروضهم الدينية إلى 8,3% , إلا أنها عادت فانخفضت في العام الدراسي 2007 /2006 إلى 83,3% وارتفعت بالمقابل نسبة الذين لم يلتزموا بفروضهم الدينية إلى 16,6%.

ويبدو إن التفسير الاجتماعي لهذا الارتفاع في نسبة الالتزام بالفروض الدينية متعلق بالشق المتعالي, وأداء الطقوس المتعلقة بالفروض الدينية النظرية , ولعل الالتزام السلوكي اجتماعياً للبعث منهم يتقاطع والتصور الديني , الا أنهم تجاوزوا ذلك التقاطع بأدائهم طقوس الدين وشعائره دون الالتزام بتعاليمه, وربما يؤكد ذلك الجدول رقم (12).

جدول رقم (12) يوضح مدى إيمان المجتمع العراقي بدور الدين في قيادة المجتمع

2007/2006		2006/2005		2005/2004	
نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار
75	18	79	19	91,6	22 نعم
25	6	20,8	5	8,3	2 لا
	24		24		24 المجموع

حيث يتضح أن نسبة 75% من أفراد المجتمع آمنوا بدور الدين في قيادة المجتمع مقابل نسبة 25% لم تؤمن بهذا الدور في العام الدراسي 2007/2006,

في حين أن هذه النسبة كانت منخفضة في العام 2005/2004 إذ بلغت 8,3% مقابل نسبة 91,6% آمنت بدور الدين في قيادة المجتمع، ولعل تفسير ذلك مرتبط بتدهور الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعسكري والأمني فضلاً عن دور الاحتلال الأمريكي، فلم يكن في اليد حيلة من الرجوع إلى القوى الغيبية، والتشبث بالدين، ناهيك عن الدور الايجابي للمساجد في رد المظالم ووقوف الكثير من الشباب والرجال بدوافع دينية أمام أحداث السلب والنهب بعد الاحتلال 2003/4/9، إلا إن ذلك لم يدم طويلاً فمع واقعية الحياة يكون من الصعب تأطيرها بتعاليم الدين النظرية. خاصة وإن الالتزام بالتفسير الديني المتشدد دون الأخذ بنظر الاعتبار ظروف العصر الحديث، وغير ذلك جعل الاعتقاد بدور الدين في قيادة المجتمع يضعف.

مقابل طرف المعادلة. هذه كانت هناك الجماعات الدينية، وقد تعددت هي الأخرى ما بين مسلحة وأخرى غير مسلحة، حزبية وأخرى سلفية، متزمتة وأخرى معتدلة.. علنية وأخرى سرية... ولتباين برامجها وتنوع أساليبها في محاولتها تطويع النظرة الدينية النظرية على مستوى الواقعية مع الأخذ بنظر الاعتبار تباين المصالح الشخصية سواء لقادة هذه الجماعات أم مصالح المؤمنين بها، أو مصالح عموم أبناء المجتمع ناهيك عن تفاوت المعرفة الدينية، وجريئتها على القوى، ومطاردة الاحتلال الأمريكي والقوات الأمنية لكل الجماعات الدينية التي لم تؤمن بالمشروع السياسي المطروح، فضلاً عن عوامل أخرى، كل ذلك جعل رؤية أبناء المجتمع للجماعات الدينية رؤية منمطة آخذة بالاتجاه نحو تدني الاعتقاد بدورها في قيادة المجتمع، وهذا يوضحه الجدول رقم (13)

جدول رقم (13) يوضح مدى اعتقاد أبناء المجتمع بالحركات الدينية

2007/2006		2006/2005		2005/2004	
نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار
62,5	15	66,6	16	79	19 نعم
37,5	9	33,3	8	20,8	5 لا

إذ بين الجدول أن نسبة المعتقدين بدور الحركات الدينية في العام الدراسي 2005/2004 79% مقابل نسبة 20,8% ممن لم يعتقدوا بدورها نجدها قد تدنت إلى 66,6% العام الدراسي 2006/2005 , ثم بلغت العام الدراسي 2006/2007 62,5% إلا أن هذه النسبة ما زالت تتجاوز الـ60% مما يعني توفر الرغبة الدينية لدى أفراد المجتمع العراقي في توفير ما عجزت عن تحقيقه المؤسسات السياسية والأمنية.

الخلاصة

إن ما يمكن استخلاصه من هذا المحور هو امتياز الشعور الديني بالواقعية, فأفراد المجتمع ملتزمون بأداء فروضهم الدينية كما أنهم ما زالوا ممن يؤمن بدور الدين والجماعات الدينية في تحقيق السلام الاجتماعي, وواقعية ذلك, أن هذه المتغيرات حاصلة في الفكر الاجتماعي والسلوك الاجتماعي في ذات الوقت.
المحور الثقافي

إذا كانت من علائم التغيير الاجتماعي الكبير في المجتمع العراقي عقب الاحتلال الأمريكي انهيار المؤسسة السياسية وظهور الأحزاب السياسية ومنظمات المجتمع المدني فإن التغيير الثقافي كان المدلول الأكثر وضوحاً في مجال التغيير الاجتماعي.

فإذا كانت الأحزاب السياسية العراقية عقب الاحتلال ليس لها جماهيرية شعبية, بل إن مقراتها, غالباً ما كانت محاطة بأسيجة ومتاريس تحولت إلى كونكريتية بعد مضي السنة الأولى من الاحتلال, فإن مؤشرات الثقافة لم تفقد شعبيتها.

وأول تلك المداليل وسائل الاتصال الجماهيري من صحف ومجلات فضلاً عن أجهزة الستلايت... الخ حتى أن الكثيرين حين يشيرون إلى التغيير فإنهم يقصدون ذلك الانفتاح على العالم , وهذا ما يؤكدوه الجدول رقم(14).

جدول رقم (14) يوضح مدى اهتمام أبناء المجتمع بوسائل الاتصال الجماهيري

2007/2006		2006/2005		2005/2004	
نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار
95,8	23	95,8	23	79	19 نعم
4,1	1	4,1	1	20,8	5 لا
	24		24		24

لقد تtامت نسبة المهتمين بوسائل الاتصال الجماهيري من 79% في العام الدراسي 2005/2004 إلى 95,8% في العامين الدراسيين اللاحقين.

أما منذ المجتمع العراقي إلى العالم فقد تمثل بمقاهي الانترنت التي ازدادت من نسبة 54,1% في العامين الدراسيين 2004 – 2005 , 2005 – 2006 إلى 75% في العام الدراسي 2006 / 2007 حسب الجدول رقم (15)

جدول رقم (15) يوضح مدى ارتياد أبناء المجتمع لمقاهي الانترنت

2007/2006		2006/2005		2005/2004	
نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار
75	18	54,1	13	54,1	13 نعم
25	6	45,8	11	45,8	11 لا
	24		24		

ومما يفسر هذا الازدياد ازياد المعرفة التقنية من جهة وزيادة عدد مقاهي الانترنت التي باتت مصدراً للرزق في ذات الوقت للبعض الآخر.

وقد يكون لذلك الدور الكبير في جعل الكتاب كمصدر للمعرفة يتراجع عن

دوره في البناء الثقافي لأفراد المجتمع فلقد تدنت نسبة المهتمين بالكتاب من

91,6% في العام الدراسي 2004 – 2005 إلى 54,1% في العام الدراسي 2006 /

2007 حسب ما وضع ذلك الجدول رقم (16).

بعض معالم التغيير الاجتماعي في المجتمع العراقي في ضوء علم اجتماع المعرفة مطلع الاحتلال الأمريكي
أ.م.د. شفيق إبراهيم صالح الجبوري

جدول رقم (16) يوضح مدى اهتمام أبناء المجتمع بالمطالعة

2007/2006		2006/2005		2005/2004	
نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار
54,1	13	50	12	91,6	22 نعم
45,8	11	50	12	8,3	2 لا
					24

الخلاصة

شكل الانفتاح على العالم الخارجي شغلاً ذا مدى على مستوى المعرفة الشعبية
لأبناء المجتمع, فأصبحت المفردات في الحياة اليومية من ستلايت إلى اسم
صحيفة... الخ أحد شواخص التغيير الاجتماعي, مما عني التوافق بين الفكر
الاجتماعي وبين الواقع الاجتماعي.

الخاتمة

إن الانتهاء إلى إقرار نتائج نهائية، قد يثير مسألة نقاشية. إذ لا نهاية في الأحكام الإنسانية، لأن الإنسان ككائن مفترض وواقعي، لا يكاد يستقر على حكم ما إلا وعودي التغير تدب فيه بعد حين. فينبري لإيراد الحجج والبراهين التي يؤكد فيها مبررات تحوله من موقف أو رأي إلى موقف أو رأي آخر.

وطبيعي أن كثيراً من مواقفه المتغيرة ما تطال تطلعات الحياة المادية، بشكل أسرع مما تطال القيم المعنوية، وتلك لا شك مقولة لاوكبرن ونيمكوف، لم تأت بشيء جديد عليها.

إلا أننا نستدرك على نظريته: أنه لا يوجد بالضرورة تغير في جميع القيم المعنوية. وذلك أن القيم الدينية على سبيل المثال قيم ثابتة لا تتغير، وإن النص الديني في العصر الحاضر، هو نفسه الذي كان زمان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

نعتقد بأن تفسيرات تلك النصوص هي التي تتباين وتختلف إلا إن تلك التفسيرات لا تسير بنفس الوتيرة التي تسير بموجبها التغيرات التي تحصل في الجوانب المادية.

أما التغير الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي فإنه صحيح تنطبق عليه نظرية أوكبرن، ومن ثم إذا أسلمنا بهذه النظرية، فإنه لا شك يكون لهذا التغير أسباب مادية وواقع اجتماعي، فيحمل هذا الواقع البنيات الذهنية التي تعبر عنه وتغدو كل بنية ممثلة للواقع الذي نبعت منه.

وما دافع حال المجتمع العراقي إلا خاضع لهذا التفسير، إذ كان لكل مرحلة من مراحل المجتمع العراقي سواء مراحل التطور السياسي، أو مراحل التطور الاقتصادي... الخ بنى ذهنية عكست أو ضاع تلك المراحل. وما يمر به واقع المجتمع العراقي في ظل مرحلة الاحتلال، إلا وتعاكس بناها الذهنية ولا شك أن البنى الذهنية لا تكتمل ما بين عام أو عامين وفق نظرية أوكبرن، إلا أنه مما لا شك فيه أنها تمثل في الوقت الحاضر بعد مضي أكثر من سنة على الاحتلال بدايات تشكيل بنى هذه المرحلة.

Some of Social Change of Iraqi Society under American Occupation

A Field Study in the Frame of Sociology

****Shafeeq Ebraheem Saleh***

Social knowledge is formed in the light of the variables of civilization, past, present, future, cultural contact, production power and philosophy.

All these variables work together to form a cultural pattern that distinguishes the behavior of the society it stems from. However , it is not necessary that all these variables work together or have equal role in knowledge formation . One variable may has priority over others for one reason or another.

Undoubtedly, Iraq accupation on April 4th 2003 caused an extreme change in the political map. There also followed plans to change the social and demographic structure. All these variables come

with a change in the social knowledge. This was reflected on the social structure of the Iraqi society. To show this social change, the study came out in three sections . The first represents the theoretical background of the research. It includes the research problem, its importance, aim, samples, methodology, tools and fields.

As for the second section, it includes a theoretical approach to the methodology of knowledge sociology and social change in the Iraqi society.

The third section, however, tackles the axes of the Iraqi social structure and social change at the onset of American invasion of Iraq.

Each of the axis of the social structure ends up with a summary of the most important results it comes up with. The research ends up with a conclusion that includes a comment on Ocobron theory and the reasons behind social change in its light.

* Dept. of Sociology / College of Arts/ University of Mosul.